

## نفثة المصدر عن أخبث العصور للوزير جنيد بن محمد البخاري: دراسة تحليلية سيميائية

إعداد:

**أ.د كمال بابكر**

قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صنكتو- نيجيريا.

[kamalbabikirbk@yahoo.com](mailto:kamalbabikirbk@yahoo.com)

المقدمة:

إن البحوث اللغوية في التراث العربي، عرفها العرب منذ القدم. حيث كانت خدمةً للنص القرآني؛ فقامت الدراسات حينئذ تبحث في دلالة ألفاظه، والوقوف على معانيه... بل قاموا بدراسة النص القرآني من جميع جوانبه وغاصوا في أعماقه، واستكشفوا مدلولاته وأسراره اللغوية. وكذلك انطبق هذا فيما بعد على النصوص الأدبية، من شعر ونثر. وأما في العصر الحالي أو ما يعرف بالعصر الحديث، فقد بحث اللغويون وخاصة الغربيون المعاصرون في اللسانيات غير العربية؛ وأبدوا مواقفهم من اللغة بصفة عامة والتراث العربي القديم في اللسانيات، بصفة خاصة؛ وبذلك ظهرت استراتيجيات ومواقف حديثة ومستحدثة في الدراسات اللغوية والنقدية والتحليلية؛ ومن تلك الدراسات ما يعرف بـ **التحليل السيميائي للنص الأدبي**؛ فانطلاقاً من هذه المقدمة ستعرض هذه الورقة لنص أدبي بالدراسة والتحليل السيميائي؛ بعنوان **نفثة المصدر عن أخبث العصور**؛ تأليف الوزير جنيد بن محمد البخاري، والورقة بتلك الدراسة سوف تغوص في أعماق النص الأدبي للوزير جنيد لتستكشف مدلولاته المحتملة؛ مع محاولة ربط النص بالواقع المعاش وما يمكن الاستفادة وأخذ العبر منه. فلتحقيق هذا يتطلب دراسة المحاور التالية:

- نبذة عن المؤلف
- مفهوم السيميائية لغة واصطلاحا
- دراسة النص الأدبي دراسة تحليلية سيميائية.
- الخاتمة.

### نبذة وجيزة عن مؤلف النص

إن الدفع إلى اختيار هذه الشخصية - الوزير جنيد - رغبتني في إبرازها من خلال نتاجه الأدبي ليستفيد منها من جهلها وليكون إثباتا وتيقنا لمن عرفها ومن الواجب في هذا الصدد أن يتعرض الباحث إلى نبذة وجيزة عنه؛ وذلك مما يساهم في التعريف به. والتعريف بمادة أدبية هامة تساعد في التحليل السيميائي.

### التعريف بالمؤلف

هو العلامة والأديب والشاعر والوزير جنيد بن الوزير محمد البخاري؛ من مواليد مدينة صكتو<sup>(١)</sup> في عام ١٩٠٦م<sup>(٢)</sup>. بدأ تعلمه بقراءة القرآن الكريم في الكتاتيب بمدينة صكتو. واستمر يتعلم العلوم الدينية والعربية؛ ومن الكتب التي قرأها: كتاب أصول الدين للشيخ عثمان بن فودي. والقصائد العشرية لعبد الله بن فودي، ودرس علم العروض والقوافي. فالوزير جنيد لم يسافر قط للدراسة خارج بلاده نيجيريا. وقد عمل مدرسا وتخرج على يده عدد كثير من الطلبة. وتولى منصب الوزارة<sup>(٣)</sup> بعد وفاة أخيه الوزير في سنة ١٩٤٨م.

الوزير جنيد أدبيا وشاعرا ومرجعا في تاريخ مدينة صكتو بل الدولة الصُكُتِيَّة. وله أكثر من خمسين كتابا في فنون مختلفة، ومنها نفثُ المصدر عن أخصب العصور؛ الذي بصدهه بُجْرَى-إن شاء الله - هذه الدراسة التحليلية السيميائية.

### مفهوم السيميائية:

السيميائية مصطلح حديث، عُرف عند هؤلاء الذين تأثروا بالدراسات اللغوية الغربية. ويعرف بعلم العلامات. السيميائية تقوم بدراسة أنظمة العلامات التي أبتكرها الإنسان. ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع عدة ومنها قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسَمَّى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٥)</sup>؛ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾<sup>(٦)</sup>.

هذه العلامات التي جاء بها القرآن هي التي يقال لها السيمياء؛ وهذه السيميائيات من دون أي شك تدل على الحقيقة الحسية التي تتحول إلى حقيقة مجردة غائبة. وبذلك نصل إلى الرسم البياني التالي:

{ سيميائيات ← غائبة حقائق ← = حسية حقائق }

السِّمَاء والسِّمِيَاء؛ أصله " وَسَمٌ " <sup>(٧)</sup> لأنه من الوَسْم وهو العلامة؛ و وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ...﴾<sup>(٨)</sup> وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(٩)</sup>.

هذا مفهوم السيمياء في اللغة العربية. وبهذا ينتقل الباحث إلى السيمياء اصطلاحاً.

### السيمياء اصطلاحاً:

اختلف العلماء المحدثون في تعريف السيمياء؛ منهم من عرفها كما يلي: علم السيمياء هو ذلك العلم الذي يدرس حياة الإشارات في قلب المجتمع ويهتم بانتاج الإشارات أو العلامات واستعمالها<sup>(١)</sup>. ويعرفه آخر: بأنه علم يدرس العلامة ومنظوماتها " أي اللغات الطبيعية والاصطناعية" كما يدرس الخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها. أي تدرس علاقات العلامات والقواعد التي تربطها أيضاً<sup>(٢)</sup>. وعرف ييارغيرو السيمياء بأنها: " العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات: اللغات والأنظمة والإشارات والتعليمات... " وقال العالم فيردنا ند دي سوسير: " أنها العلم الذي يدرس حياة العلامات من داخل الحياة الاجتماعية"<sup>(٣)</sup> ويعني بذلك أن باستطاعة الباحث أن يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في المجتمع.

خلاصة تلك التعريفات تشير إلى أن السيمياء علم يجري وراء الدلالة (السيمولوجيا)؛ والمعاني المتداولة في المجتمع وعلم اللسان جزء منه. والسيمياء موضوعها دراسة أنظمة العلامات اللغوية والإشارية. إذن فالدراسة السيميائية للنص الأدبي؛ ما هي إلا دراسة تغوص في أعماقه وتستكشف مدلولاته المحتملة مع محاولة ربط النص بالواقع المعاش؛ وما يمكن الاستفادة وأخذ العبر منه<sup>(٤)</sup>. هذا ما يتعلق بمفهوم السيميائية لغة واصطلاحاً. وبهذا ينتقل الباحث إلى دراسة النص الأدبي دراسة تحليلية سيميائية.

### عرض موجز: لنفثة المصدر عن أخبث العصور

هذا الكتاب من تأليف الوزير جنيد بن محمد البخاري؛ ويحتوي على ثمانية عشرة صفحة، وهو مخطوط<sup>(٤)</sup> أفتتح الكتاب بعد البسملة بقوله: " يقول العبيد المذنب المضطر لرحمة ربه جنيد بن الوزير محمد البخاري... إلى أن قال:

"هذه نبذة لطيفة سميها نفثة المصدر عن أخبث العصور ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير؛ ربنا لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب"

فهذه مقدمة بمثابة براعة الاستهلال؛ وهي في حد ذاتها إشعارا وإيحاء بما آلت إليه الأمور في زمانه. ثم أورد بعد ذلك قصيدة بدأها بقوله:

هذا الزمان يحير الإنسان \*\* جدا ويمسى قلبه ولهانا

والقصيدة تتكون من إحدى وعشرين بيتا... ويختتم الكتاب قائلا: والعياذ بالله من هذا الدهر الذي تريد مقاصده استيصال الحق ومحوه... وهكذا دم الدهر وما جاء به من عدم التمسك بالدين وكثرة الفساد.

### دراسة النص الأدبي دراسة تحليلية سيميائية

أن اللغة الأدبية تعتبر لغة التواصل؛ كما هو الحال بالنسبة للإشارة والصور الثابتة والمتحركة؛ فالتحليل السيميائي للنص الأدبي يتناول السيميائيات التالية:

- سيميائية العنوان.
- سيميائية الصورة الفنية
- سيميائية الزمان والمكان

- سيميائية الإيقاع.

سوف يستعين الباحث بتلك السيميائيات السابقة الذكر لتحليل النص الأدبي؛ وذلك للتعرف على مدى أسرار الحروف والألفاظ العربية كعلامة تستعمل للإشارة إلى معانٍ دفينية في نفس المتكلم؛ وبحثاً عن تأملات وخواطر سيميائية تشير إلى الدلائل الدفينة للمؤلف والمؤلف؛ وربط هذا وذاك بالواقع المعاش مع الاستفادة وأخذ العبر عما نتج من تلك السيميائيات.

### سيميائية العنوان:

إن أول ما يتوجه إليه القارئ عند أخذه أي كتاب هو النظر إلى العنوان، فالعنوان السيميائية الأولى والكبرى التي تحمل بين طياتها الكثير من السيميائيات. وتعتبر سيميائية العنوان بوابة بها يدخل القارئ إلى بقية السيميائيات؛ وبها تلوح السيميائيات الأخرى واحدة تلو الأخر... ومن خلال سيميائية العنوان يستطيع الناقد أن يقوم بقراءة نقدية تحليلية، بل ترشده إلى متن الكتاب وقراءته وتأملاته وتحليلاته ومقارنته على ضوء ما بداخله والعالم الخارجي؛ وكل هذا قد يكون في الوهلة الأولى.

إنطلاقاً من هذه المقدمة نجد أن مؤلف الكتاب الوزير جنيد بن محمد البخاري، عنون كتابه بـ " نفثة المصدور عن أخبث العصور " عبارة تتكون من خمس كلمات ولكل واحدة منها تكوّن لبنة سيميائية صغرى - إن صح التعبير - متراص وملتصقة في بعضها البعض ليتكوّن منها السيميائية الكبرى وبمعنى آخر، مجموعة من الدوال لينتج منها دلالة ذات مغزى. ( مجموعة لبنات سيميائية صغرى + روابط = سيميائية كبرى ) أو ( مجموعة من الدوال ← =

دلالة (ذات مغزى). وبصورة أوضح ( نفثة + المصدر + عن + أخبث + العصور ) = سيمائية كبرى أو دلالة ذات مغزى. فلا شك أن مجموعة الدوال التي تحملها الألفاظ الخمسة تضمنت عنصر القصد والقيمة والمدلول عليه والانفعال. فكل لفظة لها إشارة وعلامة إلى شيء آخر. فمجموعة تلك الإشارات أو العلامات (السيمائيات) هي التي تجذب القارئ أو المتصفح للكتاب وأن يقرأه من أوله إلى آخره وبذلك أصبح سيمائية العنوان تمثيلا خارجيا لحالة داخلية في نفسية المؤلف الذي ولد سنة ١٩٠٦م بعد دخول المحتل البريطاني إلى صكتو بثلاثة سنوات<sup>(١٥)</sup>. فاللفظة الأولى من عنوان الكتاب (نَفْثَةُ) تحمل دلالة إنفعالية سيمائيتها القلق والتنفّر وذلك بمعنى رمى به وتخلص منه بإنفعال. أما اللفظة الثانية (المصدر)<sup>(١٦)</sup> تحمل سيمائية توحى إلى الألم والحرق الشديدة الألم الذي دائما ما يشتكي منها المتألم؛ وسرعان ما يتحسس القارئ أن هناك ألم وحرق في داخل صدر المؤلف يشكو منه. فتجاوز بلفظة "عن" إلى قوله: "أخبث العصور" فأخبث لفظة تشير إلى الرداءة والاستكراه والحرام؛ ولفظة "العصور" جمع العصر بمعنى الدهر، فمما يلاحظ في سيمائية العنوان أن مجموعة من الألفاظ التي وضعت لتشير أو لتتسم بمعنى ذات مغزى. انفعال وقلق ورد الفعل لهذا الانفعال والقلق والرمي بعيدا منه والتخلص بكل قوة لشدة الألم ورداءته، وكل هذه السيمائيات حملها الدهر الذي هو فترة من الزمان.

فالعنوان يشير إلى أن ما بداخل المؤلف شجون وأحزان يريد أن يرمي بها بعيدا وربط تلك الأحزان والشجون بما يحدث في زمنه من كل رديء ومستكره وحرام. ومن هنا يتمغظ القارئ وينجذب بقوة إلى قراءة الكتاب لأنه يريد أن يعرف ما

المستكره وما الرديء والحرام في تلك الفترة. فسيمائية العنوان البوابة الأولى لمعرفة ما تبقى من السيميائيات.

### سيمائية الصورة الفنية:

ومما يهدف إليه علم السيمياء " السيميولوجيا" دراسة المعنى الخفي لكل نظام علاماتي؛ فهو يدرس لغة الإنسان والحيوان وغيرها من العلامات غير اللسانية باعتبارها نسقا من العلامات..<sup>(١٧)</sup>. والتعبير من سيميائيات اللغة البشرية؛ وباب يقصده المؤلف ليعبر به عن مقاصده التي تعبر عن مدى قدرته في الإبداع الفني. ومن تلك المقاصد تصنع البلاغة لتبليغ الأفكار والمعاني بوسيلة اللغة وأساليبها الواضحة والبائنة والوضوح شرط من شروط البلاغة والفصاحة. وسيميائية الصورة الفنية في الكتابة جزء من الفصاحة. والصورة في الكتابة خلاف الصورة الفنية في الرسم بالألوان أو المتحركة (الصورة البصرية) فلذا إن علم البيان يعتبر العامل الأول لسيميائية الصورة الفنية في الكتابة (الصورة اللغوية)<sup>(١٨)</sup>.

لا شك إن سيميائية الصورة الفنية لدى الوزير جنيد في قصيدته التي أوردتها في مقالته "نفثة المصدر عن أخبث العصور" تعتبر عماد المشهد الفني لصورة رسمها بألفاظ صادقة تشير إلى الواقع الذي عاشته نفسيته. صورة شاهدة تكونت واتحدت من الماديات والمعنويات؛ وبهما تشكلت أزهى وأروع الألوان السيميائية للصورة الفنية وفيما يلي أبيات القصيدة:

هذا الزمانُ يحير الإنسان \*\* جدا ويقي قلبه ولهانا

زمن يكاد من القبائح ينثني \*\* عنه الشجاع الأملعي جبانا

زمن بدا المعروف فيه منكرًا \*\* والمنكر المعروف فيه بانا



زمن يود الموت فيه اخو التقى \*\* ويرى الحياة تزيده احزاننا  
 زمن يموت به الحي مذلة \*\* ومهانة ناهيك منه هواننا  
 زمن تعز به الابطاطل عزة \*\* ويذل فيه الحق مهما كانا  
 زمن تسر به الارازل والطغا \*\* ة الاشقياء تدرعوا البهتاننا  
 زمن ترى الأدبار للخيرات في \*\* ه دائما يا عظمة خسراننا  
 فالخير فيه مدير والشر في \*\* ه مقبل أعظم به فقداننا  
 زمن تتيه به العرارة بعريهم \*\* يا قبح من تلقى به عرياننا  
 يارب يا من لا إله سواه يا \*\* قهار أنت تصرف الأزماننا  
 عذني بجاه المصطفى خير الوري \*\* من قد رفعت لأجله عدناننا  
 صلي عليه الله مع أصحابه \*\* ما حركت ريح الصبا أغصاننا  
 وألطف بعبدك يا لطيف ونجه \*\* مما يقاسي وأكفه الأحراننا  
 فرج إلهي كل همي واقض يا \*\* قاض أوطاره عجلاننا  
 يا من ييسر كل أمر يسرن \*\* أمري وجنب عني الخذلاننا  
 واغفر ذنوبي يا غفور وطهرن \*\* قلبي أذقه الهدى والعرفاننا  
 ولوالدي واخواني فأرحم وحد \*\* للمسلمين جميعهم غفراننا  
 أحسن لعاقبتي وخاتمتي معا \*\* يا رب يا من يثبت الإيماننا  
 ثم الصلاة على الذي نلنا به \*\* الإسلام والإيمان والإحساننا  
 وعلى صاحبته الكرام وآله \*\* يتلو سلام فائق ريجاننا<sup>(١٩)</sup>

إن من أبرز عناصر السيمياء في هذه القصيدة سيمياء الأسماء وهي أسماء  
 توحدت فيما بينها وأنتجت سيميائية الصورة الفنية وذلك بعيدا عن علم البيان  
 الذي عرف عند القدماء بأنه عنصر هام في تكوين الصورة الفنية. وبما أن

لسيميائية الأسماء دور هام في تكوين سيميائية الصورة الفنية؛ ويتضح ذلك من خلال قصيدة الوزير جنيد حين ذكر الاسم "زمن" وكرره عشر مرات إشارة منه أن الزمن هو المحور الأساسي للقصيدة؛ والزمن معنوي. فأورد الشاعر كثيرا من سيميائية الأسماء المعنوية أمثال: القبائح - الشجاع - الألمي - المعروف - المنكر - الموت - الحياة - أحزان - الحي - الأباطل - الحق - الأرازل - الطغاة - الأشقياء - البهتان - الأدبار - الخيرات - الخير - الشر العراة ؛ كلها سيميائيات توحى إلى ما في نفسية الشاعر من حسرة تكاد تتقد منه قلبه. أما السيميائية المادية فهي التي تتمثل في "الإنسان" الذي أسند إليه تلك.

### السيميائيات المعنوية.

تفاعل السيميائية المعنوية بالسيميائية المادية ينتج منها سيميائية الصورة الفنية. والنموذج المبسط التالي يوضح ذلك:

(سيميائية المعنويات + سيميائية الماديات) ← سيميائية الصورة الفنية

فمن خلال سيميائية الأسماء المعنوية والمادية توصل الشاعر إلى سيميائية الصورة الفنية؛ التي عاشها في زمانه والذي ليس ببعيد من زماننا هذا. صوّر الشاعر زمانه بصورة مشتمزة إحتلت فيها موازين الأخلاق وانقلبت رأس على عقب فالشر خير والباطل يُعزُّ والحق يُذلُّ؛ زمن تراجع فيه الخير وتقدم الشر زمن أصبحت المرأة في العصر الحجري تمشي وهي عريانة؛ أما الدين فحدث فلا حرج؛ وكل هذا باسم الحداثة والعولمة. فسيميائية الصورة الفنية عاشها الشاعر وأورثها في أذهان جيل بأكمله؛ جيل انغمس أكثر وأكثر في التقليد واتباع

الأهوية الأجنبية؛ وتهاوى في الفساد واتخذ الحق باطلا والباطل حقا. وهذه صورة سيميائية - ما زالت - واقعية معاشة في العصر الحالي.

### سيميائية الزمان والمكان:

لا شك أن تلاقي وتلاحم السيميائيات المعنوية والمادية ونتاج ذلك سيميائية الصورة الفنية (الكتابية). فلا تكتمل ولا يمكن لها أن تكون بدون سيميائية الزمان والمكان. وبين الزمان والمكان تكاتف وتكامل وترابط قوي فلا وجود لأحدهما دون الآخر؛ ومن المستحيل لسيميائية الصورة الفنية أن تكون بدون سيميائيات الزمان والمكان.

سيميائية الزمان في قصيدة الوزير جنيد واضحة بل منصوصة ومبثوثة في عشرة أبيات<sup>(٢٠)</sup>، حين أشار إلى عنصر السيمياء الزماني في البيت الأول من القصيدة قائلا:

هذا الزمانُ يحير الإنسان \*\* جدا ويبقى قلبه ولهانا

فسيميائية الزمان مركز القصيدة حين تمت الإشارة إلى لفظ "الزمان" الذي جاء معرفا بـ (ال)؛ ليدل إلى معرفته ومحدوديته؛ وهذه إشارة واضحة لتاريخ ميلاد الشاعر؛ حين ولد في سنة (١٩٠٦م). بعد دخول المحتل البريطاني إلى صكتو بثلاث سنوات. فمن بين هذا الزمان إلى التسعينيات هو الزمان الذي يعنيه الشاعر:

هذا الزمانُ يحير الإنسان \*\* جدا ويبقى قلبه ولهانا

ولأهمية الزمان في توضيح سيميائية الصورة الفنية وجد الشاعر نفسه يكرر لفظة "زمن" مرارا توكيدا منه أن الفكرة بأكملها أساسها الزمن؛ زمن فيه ظهر

المحتل يحمل معه رياح التغيير من خير إلى شر، من وعي إلى لا وعي من ثقافة موروثية إلى ثقافة منبوذة زمن تغير فيه المجتمع من الإصلاح إلى الإفساد والفساد والانحراف عن الصراط المستقيم، زمن حدث فيه كثير من التغلبات المخالفة للثقافة المحلية والإسلامية. والقصيدة تحمل سيميائية زمان تتوالى فيه أبشع الأفعال واقبح العادات وترك الواجبات الإنسانية والدينية. وتوالي هذا وذلك يعرف حالياً وأنداك — (الموضوعة) = (Modern). فلفظة الزمن مفتاح القصيدة ورمزية للمحتل وأفعاله وتأثيراته. وسيميائية الزمان في قصيدة الوزير جنيد؛ سيميائية للعمولة التي بها تفشست الرذائل وماتت الأخلاق الكريمة فصار العاقل سفيهاً والدينئ ربيعاً. فالقصيدة تشير إشارة واضحة لعدد من الأزمنة المتوالية والمتعاقبة فيما بينها؛ وفي نفس الوقت متفاوتة في السوء تفاوت تصاعدي. إلى أن وصل أسوأ الأزمنة في قول الشاعر:

زمن تتيه به العراة بعريهم \*\* يا قبح من تلقى به عريانا

حقاً إن سيميائية الزمان إشارة ورمزية واضحة لحياة الشاعر التي عاشها وتجربته الثقافية؛ وإشارة إلى ما جلبه المحتل من ثقافات لا تليق بمجتمع الشاعر. أما بالنسبة لسيميائية المكان، فالشاعر أشرك الزمان بالمكان لأن لا وجود لأحدهما دون الآخر؛ سيميائية المكان في القصيدة توحي إلى المكان الذي يحيط بالشاعر فكل ما جرى في الزمن حقاً أنه وقع في مكان ما فالشاعر نيجيري يعيش في ولاية صكتو<sup>(٢١)</sup>. فسيميائية المكان هي: نيجيريا - خاصة - والعالم الإسلامي المحتل من قبل المستعمرين - عامة -؛ فسيميائية الزمان والمكان أمران متداخلان ومتواجدان في آن واحد لا ينفصلان فالحدث لا بد له من زمان ومكان. لا زمن دون مكان؛ ولا مكان دون زمن. فكل ما جرى جرى في زمن

الشاعر وفي مكان عاينه بنفسه وشهدت له تجاربه الخاصة. والزمان والمكان تسببا له الهم والحزن وكان يقاسي منهما؛ فسرعان ما ظهرت ثقافته الإسلامية واستسلم للقدر قائلا:

يارب يا من لا إله سواه يا \*\* قهار أنت تصرف الأزمانا

إلى أن قال:

والطف بعبدك يا لطيف ونجّه \*\* مما يقاسي واكفه الأحزانا

فرج إلهي كل همي واقض يا \*\* قاض أوطاره عجلانا

هذا ما أفرزه الزمان والمكان والواقع المرير الذي جعل الناس عبيدا ويزعم أنهم أحرارا؛ وهذا الزمان امتد إلى ما بعد حياة الشاعر؛ وما زال ممتدا إلى اليوم، زمن أطلقت فيه الحريات بدون قيد ولا شرط؛ حريات تهاجم الطبيعة البشرية، واختلت بسنن الكون، وكل هذا باسم الحريات والحداثة والمعاصرة للزمان والمكان. والمكان ما زال يتمثل في نيجيريا وغيرها من الدول التي تم احتلالها من قبل المحتل الإنجليزي أو الفرنسي. هذه هي الدلالة السيميائية للزمان والمكان في قصيدة الوزير جنيد.

### سيميائية الإيقاع:

سيميائية الإيقاع الموسيقي في قصيدة الوزير جنيد؛ تضيف للقصيد دلالات ومؤشرات جمالية؛ وبما أن الإيقاع هو: (التكرار المنتظم لمقاطع صوتية بارزة في اللغة المنطوقة من خلال تبادلها مع مقاطع أخرى أقل بروزا)<sup>(٢٢)</sup> وهذا تعريف يختص بالجانب السمعي للإيقاع الموسيقي؛ وتقليديا تعرف بالأوزان العروضية أو

بالبحور والشاعر الوزير جنيد استعمل لقصيدته؛- نفثة المصدور عن أخبث العصور- بحرا عروضيا وهو بحر الكامل:

مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ\*\*

أما الجانب الشكلي فهو: (تكرار الكتل أو المساحات مكونة وحدات قد تكون متماثلة تماما أو مختلفة، متقاربة أو متباعدة ويقع بين كل وحدة وأخرى مسافات تعرف بالفترات)<sup>(٢٣)</sup> فالوزير جنيد قام جاهدا في البناء السيميائي للإيقاع الموسيقي في قصيدته هذه؛ وهناك تماثل وانسجام تام بين الصورة الفنية للقصيدة وسيميائية الإيقاع من جانب؛ ومن جانب آخر بين سيميائية العنوان. فتكرار بعض الألفاظ المتماثلة أو المتقاربة جعلت للقصيدة إيقاع اتسم بالمرونة والنعومة تأسفا لما يجري ورفقة بالزمن وأهله. فالشاعر الوزير جنيد كرر لفظة (زمن). في بداية ثمانية أبيات من القصيدة؛ ولفظة الزمن تبدأ بحرف يتصف بالصغير وكأنه يوحي للمتلقي أن يتنبه لأمر ما في غاية الخطورة. وفي نفس الوقت أن صوت الزاي يوحي إلى مدى ما يختزن الشاعر من مشاعر قلقة أفرزتها الألفاظ المتكررة إشارة إلى تكرار المآسي وتكرار الانحراف عن التقاليد المورثة.

ومما ساهم في إبراز سيميائية الإيقاع للقصيدة ما ورد فيها من تقابل وتشاكل في التكرار قد يكون التكرار لصوت بعينه أو مجموعة من الأصوات مكونة (الكلمة)؛ التي بدورها تتكرر؛ وورد ذلك في قوله:

زمن بدا المعروف فيه منكرًا\*\* والمنكر المعروف فيه بانا

مما يلاحظ في هذا البيت تكرار بعض الأصوات ومجموعة في عدد من الألفاظ؛ مع تكرار تلك الألفاظ في شطري البيت. خذ لفظة "المعروف" ولفظة "منكرًا" ولفظة "فيه" قاطبة كررت في عجز البيت؛ وعلاوة على ذلك لفظة "بدا"

ولفظه "بانا" فيهما أصوات كررت في كل من صدر البيت وعجزه. وذكره: بدا المعروف فيه منكرًا؛ فعكس الجملة في الشطر الثاني والمنكر المعروف؛ فمعاكسة الألفاظ كأنها توحى إلى معاكسات الحياة وتقلباتها.

فسيميائية الأصوات المكررة في البيت الشعري؛ يمثل الإيقاع الموسيقي الداخلي للقصيدة؛ ومن هذا المنطلق السيميائي إشارة واضحة للمعاني التي تحملها نفسية الشاعر تجاه الغزو الثقافي لبلادته. ومن النكت البلاغية التي أوردتها الشاعر تلك الأصوات التي توحى للمتلقي إشارات تحمل المعنى بمجرد التلفظ بها؛ خذ الأصوات التالية على سبيل المثال الأصوات التالية: "الهاء والهاء" في قول الشاعر:

زمن يموت به الحي مذلة \*\* ومهانة ناهيك منه هوانا  
ألفاظ تتسابق معانيها إلى الذهن؛ الموت - الحي - المذلة - المهانة؛ كلها ألفاظ متقابلة المعاني ينبع من أصواتها أجراس تعتبر من أروع سيميائية الإيقاع الموسيقي لسرعة جذبها؛ وتكرار صوت الهاء من عجز البيت بمثابة صدى لصدر البيت حين يتكرر صوت "الهاء" أربعة مرات في قوله:  
\_\_\_\_\_ \*\* مهانة ناهيك منه هوانا.

أما في صدر البيت وبداية عجزه فيتكرر الصوت "تاء" ثلاث مرات في الألفاظ التالية: يموت - مذلة - مهانة؛ وهذا مما يضيف للبيت سيمياء إيقاعي ذات نغمة تتصف بالشدة والقوة (أصوات انفجارية) إيجاءً وسمه بالتفكك الخلفي الذي ألم بمجتمع الشاعر.

سيمياء الإيقاع الموسيقي التي تتولد من تقنيات تتعلق باللفظ أو بالتنسيق الدلالي؛ من أروع إبداعات الشاعر الوزير جنيد؛ ويتضح ذلك في قوله:

زمن تتيه به العرارة بعريهم \*\* يا قبح من تلقى به عريانا  
الصوت "هاء" من طريقة نطقه وتلفظه يرمز ويوحى إلى تأوهات الشاعر من  
شدة ما يحس به. زمن لم تكن فيه النفوس صافية فيا له من زمن يزعم التقدم؛  
تقدم وخروج عن الإنسانية إلى الأخلاق البهيمة؛ حين العرارة يتباهون بعريهم  
حين يتظاهرون وهم عرارة؛ وهذا حقيقة الإنسلاخ من الإنسانية والعرف والدين.  
ويتعجب الشاعر مما يجري في هذا الزمان.

وفي البيت الحادي عشر إلى الحادي والعشرين؛ يشعرك الشاعر بمدى إيمانه  
بالواحد الأحد الذي لا إله غيره؛ ويختتم قصيدته بخاتمة طويلة فيها يصلي على  
الرسول الأعظم مع أصحابه الكرام دعيا من رب العزة اللطف والنجاة مما يقاسي  
نفسيا لما آلت إليه الأمة الإسلامية عامة والنيجيرية خاصة؛ وذلك حين قال:-

يا رب يا من لا إله سواه يا \*\* قهار أنت تصرف الأزمانا

عذني بجاه المصطفى خير الورى \*\* من قد رفعت لأجله عدنانا

صلي عليه الله مع أصحابه \*\* ما حركت ريح الصبا أغصانا

ومن خلال سيميائيات الألفاظ الواردة في القصيدة عند تفكيكها من الروابط  
النحوية؛ والنظر إليها واحدة ومنفردة على حدى؛ فهي تعتبر كمفتاح لحقيقة  
نفسية الشاعر وجسر يصل به الباحث إلى حقيقة ما وصلت إليه الأمم  
والشعوب التي احتلت من قبل المحتل؛ فالألفاظ هي:—

زمن - يحير - الإنسان - قلب - ولهانا - القبائح - جبانا - المعروف -  
المنكر - الموت - أحزاننا - مذلة - مهانة - الأباطل - يذل - الحق - الأرازل -  
الطغاة - الأشقياء - البهتانا - أدبارا - خسرا - الشر - العرارة. كلها  
ألفاظ اختارها الشاعر بدون أن يشعر أنه ينفث ما كان في صدره الواسع عن



أخبث عصر عايشه؛ ومن خلال سيميائية رموز الأصوات العربية "الكتابية" أستطاع أن يعبر ما بداخله. ولكل لفظة من تلك الألفاظ تقنيات تتعلق بالتنسيق الدلالي وهي من سيميائيات اللغة.

### الخاتمة:

إن الوزير جنيد أديب وشاعر ومن أهم المصادر التاريخية لحركة الشيخ عثمان بن فودي. بصكتو- نيجيريا. له عدة مؤلفات في الأدب واللغة والدراسات الإسلامية والوزير جنيد عاش في فترة انحطاط القيم الإنسانية بسبب الاحتلال الإنجليزي لنيجيريا؛ وأيضاً عاش في فترة بدأت فيها العولمة بتأثير فعال في الشعوب الإفريقية المسلمة منها وغيرها. فجاشت مشاعر الشاعر وهاجت عواطفه تجاه ما يراه وما يعانيه الإنسان في زمن لم يكن من قبل كذلك. **نفثة المصدر عن أخبث العصور** مقالة أنشد فيها قصيدة يعبر فيها مدى حسرته، سهلة الألفاظ؛ واضحة المعاني جمع فيها بين التوبيخ والتحذير بأسلوب معاصر جدلي. يتحسس الباحث من أول المقال أن هناك أمر ما حدث وما زال يحدث؛ وهذا من سيميائية العنوان، ثم تدرج إلى براعة الإستهلال التي تشعرك بما هو قادم وينفتح الصدر مُرحباً بما هو قادم بكل وعي تام. أما بخصوص لفظة السيميائية: "فهي من دون أي شك تدل على الحقيقة الحسية التي تتحول إلى حقيقة مجردة غائبة. أن الوزير جنيد استفاد من سيميائية العنوان وختار لها ألفاظاً توحي إلى ما يقصده من خلال القصيدة. وكذلك سيميائية الصورة الفنية التي قامت بتصوير الوقائع بأروع أساليب اللغة. أما بخصوص سيميائية الزمان والمكان فهي حكاية

تسجل تاريخ ما كان يجري في عصره. فتأتي سيميائية الإيقاع الموسيقي الداخلية منها والخارجية لتجسم حركات الصورة الفنية وتسيغ سيميائية المكان والزمان بأصوات تتلائم مع الأحداث وتبدأ المسرحية بالعرض وسيميائية الإيقاع تنساب بقدر حركة الصورة الفنية. هذه قصيدة قالها الوزير جنيد تعبيراً لما في نفسه؛ وهي في حد ذاتها مادة لتحليل نفسية الشاعر؛ وعنصر هام في مجريات التاريخ النيجيري. تاريخ صور الشاعر بالتغيرات والتقلبات السلبية التي ألمت بالشعب النيجيري من جراء الإحتلال والعولمة.

أما ما توصل إليه الباحث من خلال هذه الدراسة، فهو ما يلي:

- لا شك أن الدراسات اللغوية الحديثة فتحت المجال عند النقاد والمحللين بالتعمق في النص الأدبي أكثر وأكثر.
- الدراسات السيميائية قد تكون في جميع الدراسات اللغوية فمعرفة وتطبيقها على النصوص الأدبية أصبح من مستلزمات المحلل الأدبي أو اللغوي.
- ما يعرف بالعولمة أمر بدأ بالتغلغل في المجتمعات الإفريقية منذ فترة طويلة.
- لاطعم للحياة لأي أمة إذا فقدت قيمها الخلقية؛ وتنازلت عن ثقافتها الدينية.
- سيميائية اللغة العربية من أوسع السبل للتعبير عن الواقع والأخذ منه والإحتياط لما سيقع غدا.
- مقارنة بما جرى في عصر الشاعر وما يجري في عصرنا هذا نجد أن الأخلاق السامية انحطت أكثر من ذي قبل وازدادت سوءاً.
- سيميائية العنوان والصورة الفنية والزمان والمكان والإيقاع الموسيقي من المعايير الفنية لتحليل النصوص الأدبية تحليلاً سيميائياً.

وبهذه النتائج التي توصلت إليها أختتم هذه المقالة بما اختتم به الشاعر الوزير جنيد قصيدته قائلاً:

أحسن لعاقبتي وخاتمتي معاً \*\* يا رب يا من يثبت الإيماننا  
ثم الصلاة على الذي نلنا به \*\* الإسلام والإيمان والإحساننا  
وعلى صاحبتة الكرام وآله \*\* يتلوا سلام فائق ريحانا

### الهوامش والمصادر:

(١) مدينة صكتو: مركز الثقافة العربية وعاصمة الدولة التي أسسها المجدد الشيخ عثمان بن فودي. (رحمة الله عليه)؛ وهي حالياً تقع في أقصى غرب نيجيريا.

(٢) يحيى محمد الأمين (الدكتور)؛ تحفة وزراء صكتو في الثقافة العربية والإسلامية؛ الطبعة الثانية، ربيع الأول ١٤٢٩هـ - مارس ٢٠٠٨م. الناشر مركز الدراسات الإسلامية؛ جامعة عثمان بن فودي؛ صكتو- نيجيريا. ص: ٥١

(٣) منصب الوزير في الخلافة الصُكُتِيَّة؛ من أكبر وأعظم المناصب في مجلس السلطان. وليس فوق هذا المنصب إلاَّ السلطان؛ والوزير هو المستشار الأعلى للسلطان في الشؤون الدينية والإدارية.

(٤) سورة الرعد الآية "٤"

(٥) سورة النحل الآية "١٦"

(٦) سورة آل عمران الآية "٤١"

(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي؛ تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي، دار المعارف ج.م.ع.؛ ص: ٢٩٠

(٨) سورة الفتح الآية "٢٩"

(٩) سورة البقرة الآية "٢٧٣"

(١٠) بلقاسم دقة؛ (الدكتورة) علم السيمياء في التراث العربي

(١١) السيمياء أصولها ومناهجها ومصطلحاتها؛ من شبكة الإنترنت بتاريخ، ١٤/٧/٢٠١٥م؛ الموقع: ([www.ta5atub.com](http://www.ta5atub.com)).

(١٢) السيمياء أصولها ومناهجها ومصطلحاتها؛ من شبكة الإنترنت بتاريخ، ١٥/٧/٢٠١٥م؛ الموقع: ([www.ta5atub.com](http://www.ta5atub.com)).

(١٣) ملتقى رابطة الواحة الثقافية؛ من شبكة الإنترنت بتاريخ؛ ١٧/٧/٢٠١٥م الموقع: ([www.rabitat-alwah.com](http://www.rabitat-alwah.com))

(١٤) يتواجد المخطوط بمكتبة الوزير جنيد بمدينة صكتو - نيجيريا.

(١٥) يحيى محمد الأمين (الدكتور)؛ تحفة وزراء صكتو في الثقافة العربية والإسلامية؛ ربيع الأول ١٤٢٩هـ مارس ٢٠٠٨م، الناشر مركز الدراسات الإسلامية؛ جامعة عثمان بن فودي؛ صكتو؛ - نيجيريا. ص: ٥١

(١٦) من صُدِرَ، ( كَعِي. شَكَاةُ )، فهو مَصْدُورٌ: يَشْكُو صَدْرَهُ، وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَثْبَةَ: لا بُدَّ لِلْمَصْدُورِ مِنْ أَنْ يَسْتَعْلَأَ يُرِيدَ أَنْ مِنْ أُصِيبَ صَدْرُهُ لا بُدَّ لَهُ أَنْ يَسْتَعْلَأَ. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (٢٩٥ / ١٢)

(١٧) سكينه بو شلوح؛ سيميائية الصورة. من شبكة الإنترنت بتاريخ

(www.aljazeera.knowledgate) الموقع؛ ٢٠١٥/٧/١٧م

(١٨) أي الصورة التي تتكون من خلال علم البيان من تشبيهات وإستعارات  
وكنيات... وغيرها من فنون علم البيان.

(١٩) الوزير جنيد؛ نفثة المصدر عن أخبث العصور؛ (مخطوطة)، توجد في  
مكتبة المرحوم الوزير جنيد.

(٢٠) القصيدة تتكون من إحدى وعشرين بيتا.

(٢١) مهد الثقافة العربية الإسلامية، وفيها عاش وتوفي المجدد الشيخ عثمان بن  
فودي، ومنها إنتشرت الثقافة العربية الإسلامية إلى أنحاء نيجيريا.

(٢٢) عادل بدر؛ سيميائية الإيقاع، الحوار المتمدن - العدد ١٥٧٥-٨/

٢٠٠٦/٦م؛ الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن؛ تاريخ الدخول

٢٠١٥/٩/٨م من شبكة الإنترنت؛ الموقع: (www.ahewar.org)

(٢٣) عادل بدر؛ سيميائية الإيقاع، المرجع السابق.